

تفسير أبي السعود

الإسراء 108 110 ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلف وعده إن كان وعد ربنا لمفعولا إن مخففة من المثقلة واللام فارقة أي إن الشأن هذا ويخرون للأذقان يكون كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم أي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا أنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو إليها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وإن اختلف الاعتبار والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان في حسن الاطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه و أو للتخيير والتنوين في أي عوض عن المضاف إليه وما مزيدة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في له للمسمى لأن التسمية له لا للإسم وكان أصل الكلام أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعى حسن دينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتهما على صفات الكمال من الجلالة والجمال والإكرام ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها أي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا أمرا وسطا قصدا فإن خير الأمور أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم إلى المطلوب وروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمره B كان يجهر بها ويقول أطرده الشيطان وأوقف الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله A أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية